الأستاذ العابس

ألف إيان كوميكاوا مرشدا مفيدا حول مفهوم اقتصاد الرفاهية الذي وضعه عالم الاقتصاد البريطاني آرثر سيسيل بيجو الذي شغل منصب عميد قسم الاقتصاد السياسي بجامعة كامبريدج—حيث سبقه إلى هذا المنصب ألفريد مارشال وجاء بعده جون مينارد كينز.

وينقسم الكتاب إلى جزء نظري وسيرة ذاتية، ويلقي الضوء على الفكر الاقتصادي في القرن العشرين، ودور كامبريدج تحديدا. ففي الدوائر الفكرية في كامبريدج في فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى، كما في الفكر الكينزي، كان هناك اهتمام بتطبيق الأخلاقيات والأحكام الأخلاقية على دراسة علوم الاقتصاد انطلاقا من مبدأ إصلاحي وصائي راسخ بقيادة النخب الليبرالية. ويرصد كوميكاوا بدقة مسار هذا الفكر بدءا من التفاؤل بشأن حل المشكلات الاجتماعية من خلال المعرفة والعلم في عالم ما قبل عام ١٩١٤ إلى زيادة الشكوك والتشاؤم عقب الحرب العالمية الأولى ومشاعر الحزن العميقة في أعقاب الحرب العالمية الثانية.

وكان بيجو، مثله مثل كينز، شخصا مسالما، ولكنه شهد أهوال الحرب أثناء عمله في خدمة الإسعاف الميداني، ويبدو أنه عندما طلب للتجنيد الإجباري لم يرغب في أن يقيد ضمن قائمة الاستنكاف الضميري. وقد حولته الحرب العالمية من شخص اجتماعي أعزب جذاب وطيب المعشر إلى شخص منعزل. وبحلول ثلاثينات القرن الماضي، شعر بيجو أن كامبريدج الجديدة التي هيمن عليها الفكر الكينزي سحقته

كان بيجو يؤمن بتوافق الآراء بين النخبة.

وسخرت منه وتجاهلته، ولم يستطع في الواقع أن يتناسى تحامل كينز عليه وتصويره له في كتابه النظرية العامة الصادر عام ١٩٣٦ كصاحب فكر اقتصادي كلاسيكي واه عفى عليه الزمن.

وكان بيجو يؤمن بتوافق الآراء بين النخبة، حتى أنه تنازل في بعض الأحيان عن آرائه القوية بشأن قضايا مثل التجارة الحرة من أجل الحفاظ على هذا التوافق. لذلك شعر بدهشة بالغة إزاء حدة كينز في موقفه الفكري المعارض، حتى أنه رأى في تقاريره الخارجة على الإجماع أمرا "لا يليق بالفضلاء".

وفي عرض صائب، يذهب كوميكاوا إلى أن تحليل بيجو للضرائب هو أفضل وسيلة للتعامل مع المؤثرات الخارجية وثيقة الصلة بالقضايا البيئية الراهنة. فضريبة الكربون مثال جيد على الضريبة التي طالب بيجو بتطبيقها والتي

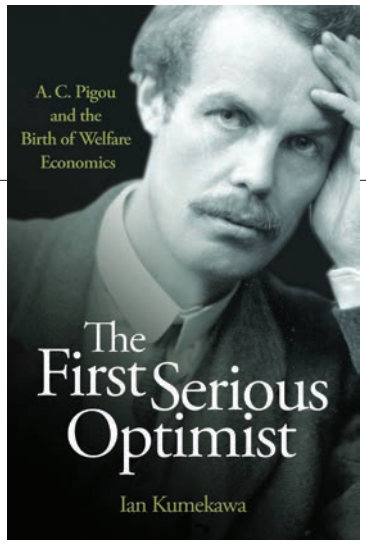

إيان كوميكاوا
أول متفائل جاد: آرثر سيسيل بيجو ونشأة مفهوم اقتصاد الرفاهية
Ian Kumekawa
The First Serious Optimist: A. C. Pigou and the Birth of Welfare Economics
Princeton University Press,
Princeton, NJ, 2017, 344 pp., $35

تعادل التكلفة التي يتسبب فيها المنتجون من خلال التلوث على سبيل المثال.

ولا يرسم الكتاب صورة إيجابية لبيجو الإنسان. فكما يوضح كوميكاوا، "بالرغم من أن بيجو سعى إلى مساعدة الفقراء، فإنه لم يحترمهم"، "واعتبر أن قطاعات كبيرة من السكان غير مؤهلة على الإطلاق لصنع أي قرارات، حتى القرارات الأقل أهمية". وقد شهد هذا الوقت خلال القرن التاسع عشر تطبيق مفهوم الوصاية الأبوية في أسوأ صوره (ومعاداة المرأة أيضا—حيث تشير قصة حزينة إلى محاولة بيجو وقف جوان روبنسون عن عملها كمحاضر في جامعة كامبريدج).

ومما يدعو إلى الدهشة أن كوميكاوا لم يتناول في كتابه آراء بيجو التي تكتسب أهمية كبيرة في الوقت الحالي والتي استند إليها فكره حول الحد من الأضرار وحماية الموارد. فقد كان أكثر معاصريه اهتماما بالعدالة بين الأجيال، وهو ما قد يكون أمر مثير للدهشة نظرا لأن بيجو كان أعزب ولم يكن له أبناء. وقد نشأت معظم أفكار بيجو حول اقتصاد الرفاهية نتيجة الحافز القوي لدى الأجيال الحالية لنقل التكلفة إلى الأجيال التالية. وطالب في كتابه اقتصاد الرفاهية الصادر عام ١٩٣٢ بتدخل الدولة بوصفها حامية الأجيال القادمة. إذ "ينبغي للدولة حماية مصالح الأجيال المستقبلية إلى حد ما من آثار التجاهل غير المبرر وتفضيلنا لأنفسنا على الأجيال القادمة". وهذه بالطبع رسالة تعكس حداثة الفكر حتى وإن صدرت عن أستاذ عابس ينتمي إلى العصر الإدواردي. FD

هارولد جيمس، مؤرخ بجامعة برينستون وصندوق النقد الدولي